الرَّحْمنُ على العَرْشِ استَوَى

هل تعني كلمة استوى في هذه الآية جَلسَ؟

وما هو الدليلُ على ذلك؟

محمد عوض

الطبعة الأولى

1434 هجري 2013 ميلادي
الدهيشة – بيت لحم

الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى

هل تعني كلمة استوى في هذه الآية جَلسَ ؟!

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلقَ السَّماواتِ والأرضَ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ﴾[1]، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده، لا شريك ولا شبيه ولا نظير له، مُنَزَّهٌ عن المكان والجِسْمِيّة والجهات ولو كَره ذلك المُجَسِّمون، وأشهدُ أنّ محمداً رسول الله، القائلُ عن الله: «وأنت الظاهرُ فليْسَ فوقكَ شيءٌ وأنت الباطنُ فليْسَ دونَكَ شيءٌ»[2]، بلّغَ الرسالة وأدى الأمانة ونَصَحَ الأمّة، وتركها على مِحَجَّة بيضاء لا يزيغ عنه إلا ضال، والسلام على صحابة رسول الله ﷺ ومَن تبعهم في المُعتقد إلى يوم الدين.

أما بعد: في يوم ما قال لي أحد الناس في مناسبة ما: «أيْ هُوْ رَبنا إللّي قاعد فوق ... »، فقاطعته لبشاعة قوله، ولا داعي لسرد الحديث كاملا.

هذا المسلم الجاهل نَسَب لله الخالق صفتين مِن صفات المخلوق، وهما القعود والجهة (فوق). ولو أنه استخدم عقله لتعلم العقيدة، كما يستخدمه لِكَسْب المال، لَمَا تفوّهَ بهذا الهذيان. وحالُ كثيرٍ مِن عوامّ المسلمين كحال هذا المسكين الذي لا يعلم ما يجوز نسبته إلى الله كخالق وما لا يجوز. ولكن للإنصاف أقول: وكيف، ومِمَّن سيتعلم مِثْلُ هذا الإنسان ما يجوز في حق الله كخالق وما لا يجوز إذا كان كثيرٌ مِن أئمة المساجد لا يعرفون ذلك؟ في حوار لي مع شيخٍ مُجَسِّمٍ[3]، وهو إمام مسجدٍ في مدينة بيت لحم، بعد صلاة الجمعة في يوم ما، بخصوص نسبة المكان لله، قلت له: قال الرسول ﷺ: « كان اللهُ ولم يَكُن شيءٌ غيرُه »[4]، وهذا يعني أنه لم يكن شيءٌ موجوداً سوى الله، لا هواء ولا ماء، ولا أرض ولا سماوات ولا عرش. فوافقني على ذلك ـ والحمدُ لله ـ، ثمّ قلت له: فهل يُعقل أن يَخلق اللهُ لذاته غير المحدودة مكانا محدوداً (العرش) ليستقرَّ عليه (أي ليجلس عليه)؟ فأجاب بالحرف الواحد: « شو المانع ؟» إجابته أدهشتني، لو كان عند هذا الشيخ عقلٌ سليم لَمَا قال ذلك. لأنه لو جلسَ اللهُ الخالق، غير المحدود، على المخلوق المحدود (العرش) بعد أن لم يكن جالساً عليه لأدى ذلك إلى تغيُّرٍ في ذاته بأن أصبحت محدودة كونُ العرش محدوداً، والتغيّرُ في ذات الله مستحيل، لا يجوز، ولا يحصل، قال إمامنا محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ): « لا يجوز عليه التّغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته »[5].

ثم استشهد ذلك الشيخ المُجَسِّم بتفسير الإمام القرطبي ليثبت أنّ الله مستقرٌّ على العرش، فقال: «القرطبي قال بأنّ الله استوى على عرشه حقيقة». نعم لقد قال الإمام القرطبي ذلك، ولكن هل قصد الإمام القرطبي بقوله هذا بأنّ الله قد جلسَ على العرش كما يتوهم هذا الشيخ المسكين ـ هداهُ الله ـ ؟ بالتأكيد لا، وسوف أُورِدُ الدليل النصّي على ذلك. وقبل ذلك أوَدُّ أن أنَوِّه إلى قضية مهمة جداً، ألا وهي: الغالبية العُظمى مِن المُجَسِّمة، الشيوخ منهم والعوام، تعتمد

---

[1] سورة الأنعام: آية رقم 1.
[2] رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **2713**.
[3] **المُجَسِّم** هو كُلُّ مَن يعتقد أنَّ لله أعضاءً كاليد والوجه والعين، وأنه جالسٌ على العرش.
[4] رواه الإمام البخاري في صحيحه (برقم **3191**)، وغيره.
[5] ذَكَرَ ذلك عنه الإمام محمد مرتضى الزّبيدي في كتابه "إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين"، مجلد 2 / ص 24، **الناشر**: دار إحياء التراث العربي، بيروت 1994.

على أقوال ونُقول الشيخ ابن تيمية عن الآخرين، وغالبية هذه النُقول ليست بصحيحة. فهذا الشيخ المُجَسِّم الذي قال لي بأنّ الإمام القرطبي قد قال بأنّ الله « استوى على عرشه حقيقة »، يُريد بذلك بأنّ الله جلس على العرش، إما أن يكون قد قرأ ذلك بنفسه مِن تفسير الإمام القرطبي ''الجامع لأحكام القرآن''، أو أنه قرأ ذلك في أحد كتب الشيخ ابن تيمية نقلاً عن الإمام القرطبي، فإذا كان الأول، فهو شيخ مُدَلِّس ومُخادع، لأنه لم يَذكُر بقية كلام الإمام القرطبي الذي يوضّح قصد الإمام القرطبي بكلامه الآنف الذِّكر، وإن كان الثاني، فقد وقع في فخ الشيخ ابن تيمية، وابن تيمية كان غالبا يُلَبِّس على القارئ ليتقبل عقيدته القائمة على تجسيم الله وعلى نسبة المكان له تعالى. الشيخ ابن تيمية هو شيخ المُجَسِّمة بلا نِزاع، هو حَبْرهم الأكبر، يعتبرونه نعمة مِن نعم الله عليهم! لماذا؟ لأنه قد حفظ لهم عقيدة السَّلف الصالح! وهل كانت عقيدة السلف الصالح مفقودة، حتى وجدها ابن تيمية بعد حوالي 690 سنة مِن وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام؟! وهل كان السَّلف[1] الصالح مُجَسِّمة كابن تيمية؟! حاشاهم.

الشيخ ابن تيمية لم يَدَّخر جهداً في محاولة إثبات عقيدته وعقيدة طائفته المُجَسِّمة مِن أنّ الله بذاته فوق العرش، أي أنه جالسٌ على العرش، فاستشهد لإثبات ذلك، على سبيل المثال، في كتابه ''بيان تلبيس الجَهْمِيّة'' بنصوصٍ كثيرة لعلماء مشهورين، كالإمام أبي جعفر الطحاوي، والإمام أبي الحسن الأشعري والإمام أبي بكر الباقلاني والإمام أبي بكر البَيْهقي والإمام المُفَسِّر أبي عبدالله القُرطبي وغيرهم، ليوهم القارئ أنّ الأئمة المذكورين يوافقونه في عقيدته مِن أنّ الله بذاته مستوٍ على العرش، أي أنه مُستقرٌّ عليه. وهذا اللفظ ، أقصد ''بذاته''، لم يَرِد في القرآن ولا في السُّنّة، ولم يرد أيضا عن أحدٍ مِن الأئمة المذكورين. ومِن الجدير بالذِّكْر أنّ بعض علماء أهل السُّنّة، كالإمام أبي حامد الغزالي مثلا، أطلقوا على الله لفظ ''فوق العرش''، أو ''فوق عرشه'' ولم يقصد هؤلاء بذلك أنّ الله بذاته على العرش، أو أنه جالسٌ عليه، بل قصدوا الفوقية المَعنويّة، أي فوقية الرُّبوبية والمُلْك والقهر والسُلطان، ومِن الدليل على ذلك هو أنهم نزّهوا الله عن الحدّ - الذي هو مِن لوازم القول: ''فوق العرش بذاته''-، وعن المكان والجِسْمِيّة. وفيما يلي نصٌ للإمام المُفسِّر أبي عبدالله القرطبي بخصوص الاستواء على العرش، وبهذا النص استشهد ابن تيمية ليدعم عقيدته بأنّ الله بذاته فوق العرش، وبجزءٍ مِن هذا النص استشهد أيضا ذلك الشيخ المُجَسِّم الذي تحاورت معه. وسأبيِّن إن شاء الله موضع التلبيس في النص الذي استشهد به الشيخ ابن تيمية، واللهُ وليُّ التوفيق.

قال ابن تيمية ناقلا عن الإمام القرطبي ما نصه: «وقال أبو عبدالله هذا في ''تفسيره'' الكبير، في قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى على العَرْشِ﴾ (سورة الأعراف: 54 **) قال: هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وأجزاء، وقد بيّنا أقوال العلماء فيها في (كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولاً. والأكثر مِن المتقدمين والمتأخرين - يعني مِن متكلمي أصحابه[2]- أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجِهة والحَيِّز، فمِن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم المتأخرين - يعني: العلماء المتكلمين أصحابه - تنزيه الباري عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم مِن ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حَيِّز، ويلزم على المكان والحيِّز الحركة والسكون للمُتحيِّز، والتغيّر والحدوث، هذا قول المتكلمين[3]. وقد كان السَّلفُ الأوّل رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم يُنكر أحدٌ مِن السَّلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة،**

---

[1] **السَّلف** هم أوائل هذه الأمة مِن القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وتشمل عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، رحمهم الله أجمعين. **ملاحظة**: ليس كلّ مَن عاش في القرون الثلاثة الأولى يُعتبر مِن السلف الصالح، بل هناك أيضا **سَلفٌ طالح**، كالمُعتزلة والقَدَريّة والمُشَبِّهة والمُجَسِّمة، وهؤلاء قد انحرفوا عن عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم. وفرقة "الوهابيّة" المُعاصرة، ومركزها السعودية، يُطلق أتباعها على أنفسهم اسم "السَّلَفيّة " ليوهموا عوامّ الناس أنهم على عقيدة الصحابة، وهم في الحقيقة مُجَسِّمة، ينشرون عقائدهم باسم السَّلف بدعم مادي مِن آل سعود.

[2] ما بين الشرطتين **في هذا النص** هو إضافة مِن ابن تيمية.

[3] "**المُتكلمون**" هم علماء التوحيد.

وخَصَّ العرشَ بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا يُعْلم حقيقته، كما قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القدر كاف، قال: والاستواء في كلام العرب العلو والاستقرار وذَكَر كلام الجوهري في "صحاحه" وغير ذلك، هذا آخر كلام القرطبي »[1]. انتهى نقل ابن تيمية.

قول ابن تيمية: «وغير ذلك، هذا آخر كلام القرطبي» هو " لَفْلَفة "، ولقد حذفَ ابن تيمية جزءاً مهما من كلام إمامنا القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وفيما يلي كلام الإمام القرطبي كاملا للمقارنة، كما في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، تفسير آية رقم **54** مِن سورة الأعراف، طبعة دار الصفا، ط**1** ، القاهرة **2005**، وكذا في طبعة دار الفكر، قال الإمام القرطبي: « قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ ﴾ (سورة الأعراف: 54) هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وأجزاء. وقد بيّنا أقوال العلماء فيها في (كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولاً. والأكثر مِن المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتَّحَيّز فمِن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم مِن المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم مِن ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حَيِّز، ويلزم على المكان والحَيِّز الحركة والسكون للمُتحَيِّز، والتغيّر والحدوث، هذا قول المتكلمين. وقد كان السَّلفُ الأوّل رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافّة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم يُنكر أحدٌ مِن السَّلف الصالح أنه اسْتوى على عرشه حقيقة. وخَصَّ العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنها لا تُعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم - يعني في اللغة- والكَيْف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القَدْر كافٍ، ومَن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه مِن كتب العلماء.

والاستواء في كلام العرب هو العلوّ والاستقرار. [2] ← قال الجوهري: استوى مِن اعوجاج، واستوى على ظهر دابته، أي استقر. واستوى إلى السماء أي قصد. واستوى أي استولى وظهر، قال:

قد استوى بِشرٌ على العراق　مِن غير سيفٍ ودم مهراق

واستوى الرجل أي انتهى شبابه. واستوى الشيء إذا اعتدل. وحكى أبو عمر بن عبدالبَر عن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿الرَّحمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: 5) قال: علا. وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفَيْفاء قفْرَةٍ　　وقد حلّق النجمُ اليمانِيّ فاستوى

أي علا وارتفع.

قلت - أي القرطبي-: فعُلوّ الله تعالى وارتفاعه عِبارة عن عُلوّ مَجْدِه وصفاته وملكوته، أي ليس فيما يجب له مِن معاني الجلال أحد، ولا معه مَنْ يكون العلوّ مشتركاً بينه وبينه، لكنه العليّ بالإطلاق سبحانه. قوله تعالى: ﴿على العَرْشِ﴾ لفظ مشترك يُطلق على أكثر مِن واحد. قال الجوهري وغيره: العرش سرير المَلِك. وفي التنزيل: ﴿نَكِّروا لها عَرْشَها﴾ (النحل: 41)، ﴿وَرَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ﴾ (يوسف: 100). والعرش سقف البيت ... وعرش البئر: طيُّها بالخشب، بعد أن يُطْوى أسفلها بالحجارة قدْر قامة، فذلك الخشب هو العرش، والجمع عروش. والعرش اسم لِمَكّة. والعرش المُلك والسُّلطان، يُقال: ثُلَّ عرشُ فلان إذا ذهب مُلكه وسُلطانه وعِزّه.

---

[1] "بيان تلبيس الجَهْمِيّة" لابن تيمية، جزء 1 / ص 60 ، طبعة الدار العثمانيّة، ط 1 ، عمان 2008.

[2] الكلام مِن عند العلامة(←) أعلاه إلى آخر النص قام ابن تيمية بحذفه ليوهم القارئ بأنَّ الإمام القرطبي قال بعلو الله على العرش علواً مكانياً !

قال زهير:

تداركتما عَبْساً وقد ثلّ عرشُها وذُبيانُ إذ ذلّتْ بأقدامها النّعلُ

وقد يُؤَوّلُ العرش في الآية بمعنى المُلك، أي ما استوى المُلكُ إلاّ لـه جلّ وعَز، وهو قولٌ حسن وفيه نظر، وقد بيّناه في جملة الأقوال في كتابنا. والحمد لله.] انتهى كلام الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

التعليق: مِن مقارنة النصين مع بعضهما يتضح بشكل جليّ مدى تدليس ابن تيمية وعدم أمانته في النقل، فقد حَذف جزءاً مهماً مِن كلام الإمام القرطبي، فيه بيَّنَ الإمام القرطبي قصْده بعلوّ الله على العرش، وهو عُلوّ المَجْدِ والصفات، وليس علوّ الذات علواً حِسِيّاً (مكانيا) على العرش.

وفيما يلي شرح كلام الإمام القرطبي بخصوص الجهة والفوقية على العرش، وما توفيقي إلا بالله:

أولا: قال الإمام القرطبي، كما في النص السابق: «وقد كان السَّلَفُ الأوّل رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافّة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله».

قوله: «لا يقولون بنفي الجهة» قصد بذلك لفظ ''فوق''، لأن لفظ ''جهة'' مُضافا إلى الله تعالى لم يرد في القرآن ولا في السُنّة، فالسَّلف الصالح أطلقوا على الله لفظ ''فوق''، وكيف لا يُطلقون ذلك والله يقول في كتابه المجيد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾، والمقصود بذلك فوقية القهر.

ولفظ ''فوق'' يُرادُ به فوْقيّة الرُّتبة والعَظمة والقهر، وفوقيّة المكان، وهذه مِن المُحال في حقِّ الله خالقِ المكان، فلا يبقى إذن سوى المعنى الأول للفظ ''فوق'' الذي يليق بجلال الله، وهو فوقية الرُّتبة والألوهية والرُّبوبية والعظمة، وهذا ما قصده الإمام القرطبي، ومِن الدليل عليه هو أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أن يَخسِفَ بِكُمُ الأرضَ ﴾ [سورة المُلك: آية رقم 16] **ما نصه: « أي فوقها لا بالمُمَاسّة والتحَيّز لكن بالقهر والتدبير ... والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة منتشرة، مُشيرة إلى العلو، لا يدفعها إلا ملحدٌ، أو جاهلٌ معاند. والمُراد بها توقيره وتنزيهه عن السُّفل والتحت، ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجِهات والحدود لأنها مِن صفات الأجسام ... - إلى أن قال- : وكان في أزَله قبل خَلْق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان»، وهذا الكلام في غاية الوضوح، ويُظهر بشكل جليّ عقيدة إمامنا القرطبي القائمة على تنزيه الله عن الجِسْمِيِّة والحَدّ والجهة والمكان[1]. وإتماما للفائدة أود أن أذكر أيضا أنّ الإمام القرطبي نَزَّه الله بلفظ صريحٍ عن القعود والقيام، حيث قال في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ومِن كُلِّ شَيءٍ خَلقنا زَوْجَيْنِ﴾**[سورة الذاريات: آية رقم 49] **ما نصه: « فلا يُقَدّر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء، إذ عزّ وجلّ وتر ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ ». وبناء على ذلك أقول: عندما قال الإمام القرطبي بأنّ الله استوى على عرشه حقيقة لم يقصد بذلك الجلوس أو الاستقرار على العرش، كما حاول ابن تيمية إيهام القرّاء.**

ثانيا: توضيح معنى قول الإمام القرطبي: « أنه - تعالى- استوى على عرشه حقيقة، وخَصَّ العرشَ بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الإستواء، فإنه لا تُعلم حقيقته».

هذا النص يجب أن يُفهم في إطار مذهب الإمام القرطبي في فهم لفظ الاستواء المُضاف إلى الله تعالى: هل هو صفة فِعل، أم صفة ذات. لقد فسّر الإمام القرطبي، كجمهور علماء أهل السُنّة، الاستواء كصفة فِعل، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ أن يَأتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِّنَ الغَمامِ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم 210] **ما نصه: « وكما أنّ الله أحدث فِعلاً سمّاه نزولاً واستواءً كذلك يُحدثُ فعلا يُسمِّيه إتيانا، وأفعالهُ بلا آلة ولا عِلة، سبحانه»، وصفات الفِعل**

---

[1] قال إمامنا ابن حَجَر العسقلاني في كتابه "فتح الباري" مُنَزِّهاً الله عن الفوقية المكانية ما نصه: « ولا يلزم مِن كَوْن جهتي العُلوّ والسُفل مُحالٌ على الله أنْ لا يوصف بالعلو لأنّ وصفه بالعلو مِن جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك مِن جِهة الحِسّ، ولذلك وردَ في صفته: العالي والعَليّ والمُتعالي ولم يرد ضد ذلك وإنْ قد أحاط بكل شيء علماً جلّ وعز »، أنظر"فتح الباري" ، مجلد 6 / ص 168 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، عند شرح الحديث رقم **2995** في كتاب 56: الجهاد والسير، باب 33 : التكبير إذا علا شرفاً.

عندنا نحن أهل السُّنة غير قائمة بذات الله - على عكس مذهب ابن تيمية -، بل في مخلوقاته، وعلى هذا يكون معنى قول الإمام القرطبي «أنه استوى على عرشه حقيقة» هو أنّ الله أحدثَ في العرش على الحقيقة فِعلاً سَمّاهُ استواءً - كما أحدث في السّماء فِعلاً سَمّاه نُزولاً -، وهذا الاستواء هو علوّ مَجْدِ الله وصفاته، كما قال الإمام القرطبي. وعلوّ مَجد الله على عرشه مجهول الكيفية، فلا أحد يعلم حقيقته. وعلوّ مَجْدِ الله على عرشه ما هو إلّا عُلوّ وارتفاع ذِكْر الله على العرش، ومعنى ذلك هو أنّ العرشَ بدأ يُسبِّح (أنظر إن شئت ص 12-13)، ولا أحد يعلم كيفية وحقيقة هذا التسبيح إلا الله، قال اللهُ العليّ، عُلوّ رُبوبيّة وعظمة: ﴿ وإن مِّن شَيءٍ إلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ وَلكن لّا تَفقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ﴾ ، والعرشُ يُسبِّح كباقي الأشياء التي تُسبِّح الله.

وقول الإمام القرطبي: «وخصَّ العرش بذلك - أي بالاستواء - لأنه أعظم مخلوقاته» هو في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل في الاستواء: « وإنما خصّ الله العرش لمعنىً فيه مُخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. فامتدح الله نفسه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا. ولا يجوز أن يُقال: استوى بمُماسّة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا. والله تعالى لم يَلحَقه تغيُّر ولا تبدل، ولا يَلحَقه الحدود قبل خلق العرش ولا بَعدَ خلق العرش »[1]. لقد جعل الإمام أحمد رحمه الله الاستواء مِن صفات الذات وفسّره بالعلو، وقصد بذلك العلو المعنوي، أي علوّ الربوبية والعظمة، ومِن الدليل عليه هو أنه نفى الاستواء على العرش بمعنى العلو الحِسّي والاستقرار أو الجلوس عليه، وإلى ذلك أشار بقوله: «ولا يجوز أن يُقال: استوى بمماسّة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا»، والمُماسّة مِن لوازم الاستقرار والجلوس - وأيضا مِن لوازم الأجسام-، فنفي المُماسّة يستلزم نفي الاستقرار والجلوس - والجِسْميّة -.

وقوله: « ولا بملاقاة» هو تصريحٌ منه في نفي الاستواء بمعنى الارتفاع الحسّي على العرش وذلك بوجود مسافة بينه وبين الله، لأنّ الملاقاة هي المواجهة والمُقاربة. وبعض علماء الكلام عبّروا عن ذلك بالقول: الله فوق العرش مِن غير مُماسّة ولا مُباينة، أي بدون انفصال بمسافة، وقصدوا بذلك فوقية الربوبية والرتبة وليس الفوقية المكانية، لأنهم نزّهوا الله عن الجهة والمكان والحدّ.

وقول الإمام أحمد: «تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا» هو تأكيد مرة أُخرى في تنزيه الله عن أن يكون فوق العرش جالسا أو مستقراً أو أن يكون مرتفعاً عليه ومُباينا له بمسافة. وَنَفيُ الإمام أحمد الاستواء بمعنى الارتفاع الحِسّي على العرش، بمُماسّة أو بدونها، فيه أيضاً إشارة إلى نفي قيام الحوادث بذات الله، تماما على عكس مَذهب ابن تيمية، حيث فسَّر ابن تيمية الاستواء بصفة فِعلٍ قامت بذات الله، أي بحركة. وقول الإمام أحمد: « والله تعالى لم يلحقه تغيّر ولا تبَدّل » معناه أنه لم يحدث تغيّر في ذات الله ولا تبدل في صفاته بعد خَلْقه العرش، بأن أصبح مثلا محدوداً أو متحَيّزاً أو محتاجا.

وقوله: « ولا يَلحقه الحدود قبل خَلْقِ العرش ولا بعد خلق العرش » هو تنزيهٌ لله عن الحدّ مطلقاً، وأيضاً هو نفيٌ للإستواء بمعنى الاستقرار والجلوس والارتفاع فوقه بملاقاة أو مُحاذاة، ودليله هو أنه لو كان اللهُ مستقراً فوق العرش، أو عالياً عليه بدون مُماسّة - أو بمُماسّة-، لكان اللهُ محدوداً لأنّ العرش محدودٌ. وفي قوله إشارة إلى نفي الجِسميّة عن الله، لأنّ الحدّ مِن لوازم الأجسام ولا بُد، فكُلّ جسم محدود لا مَحالة. فتنزيهُ لله عن الحَدّ يستلزم تنزيهه عن الجِسْميّة، وكذلك عن التّحَيّز، الذي هو أيضا مِن لوازم الأجسام.

خلاصة الكلام: لقد استشهد ابن تيمية بكلام الإمام القرطبي - حاذفا منه جزءاً مهماً - ليُوهم به القارئ أنّ الإمام

[1] "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى الفرّاء ، مجلد 2 / ص 256 ، طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997.

القرطبي قال بعلو الله الذاتي على العرش واستقراره عليه، وهذا باطل كما تقدم بيانه. وهذا هو أسلوبٌ مِن أساليب ابن تيمية، حيث كان يستشهد بعباراتٍ لأئمة أهل السُّنة مقطوعة عن سياق النص، بها حاول خِداع عوامّ الناس لإقناعهم بعقيدته الفاسدة، القائمة على نسبة المكان والجِسْميّة والأعضاء لله تعالى.

فيا أخي المسلم، ويا أختي المسلمة: عندما تقرأ، وعندما تقرئين نصوصا لابن تيمية، فيها يستشهد بعبارات لأئمة أهل السُّنة كابن جرير الطبري (صاحب التفسير)، وأبي جعفر الطّحاوي، صاحب رسالة عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وأبي حنيفة النعمان وأبي الحسن الأشعري وأبي بكر البَيْهَقي، وغيرهم، لإثبات الأعضاء والجِسميّة لله، أو لإثبات العلو المكاني لله على العرش، فلا تُعِر كلامه أية أهمية، وانبذه وراء ظهرك، واعلم أنّ استشهاده بنصوص علماء أهل السُّنّة هو مِن باب الخِداع ليس إلّا، ليأخذ بيدك إلى مهاوي عقيدة التجسيم. والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

معنى "استوى" و" العرش" في قوله تعالى

الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى

هل تعني كلمة استوى المُضافة إلى الله جَلّ ثناؤه في هذه الآية وفي غيرها ارتفع على العرش حِسِّيّاً واستقرَّ أو جلس عليه كما يتوهم كثيرٌ مِن عوامِّ المسلمين والشيوخ المُجَسِّمَة؟! الجواب: لا، وذلك لسبب بسيط جداً، وهو أنه لا يوجد أيُّ دليل نقلي مِن القرآن الكريم ولا مِن السُّنة النبوية، ولا مِن أقوال سَلف الأمّة الصالح، ولا يوجد كذلك أيّ دليل عقلي، على أنّ لفظ "استوى" المُضاف إلى الله معناه أنّ الله ارتفع على العرش ارتفاعا مكانيا واستقر أو جلس عليه. قد يقول قائل: اللغة تدلُّ على هذا المعنى. وجوابي له: اللغة لا تحْصرُ معنى كلمة استوى في الارتفاع الحِسّي والاستقرار أو الجلوس، فلفظ "استوى" له معانٍ عديدة في اللغة كما مَرّ سابقا (راجع إن شئت ص 3)، ومن هذه المعاني أيضاً:

1. التّساوي، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: آية 9]**.**

2. تمامُ الشيء وكَماله[1]، قال اللهُ تعالى مُخبرا عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى~ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلمًا ﴾ [سورة القصص: آية رقم 14]**، قال الإمام ابن عطيّة الأندلسي** (ت 541 هـ) **في تفسير هذه الآية ما نصه: « أي قويّ، واستوى أي تكامل عقله وحَزمه »[2].**

3. العُلوّ ويشمل العلوّ الحِسِّي كالقول: استويْتُ على السّطح، أي عَلَوْته.

والعُلوّ المَعْنَوي، أي عُلوّ الرتبة والعَظَمَة.

فأيُّ هذه المعاني السابقة يليقُ بجلال الله كخالق؟

- **اعتدل بعد اعوجاج؟! بالتأكيد لا، فاللهُ مُنَزَّهٌ عن الاعوجاج.**
- **أو انتهى ؟! بالتأكيد لا.**
- **أو علا أو ارتفع حِسِّيّاً على العرش؟ بالتأكيد لا، فاللهُ لم يَكُن تحت العرش أو مُحاذياً له ثمَّ ارتفع عليه.**

---

[1] "دَفعُ شُبَه التشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 121 مِن طبعة دار الإمام النووي، ط 3، عمان 2005.

[2] أنظر: "المُحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" للإمام ابن عطية الأندلسي.

● أو استقرَّ ؟ مستحيل، لأنَّ الاستقرار بعد عدمه يُنبئُ عن اضطراب، سبحان الله عن الاضطراب. وعلاوة على ذلك: الاستقرار على العرش يؤدي إلى تغيّر في ذات الله بأن تُصبح محدودة كَوْن العرش محدوداً، ولا يُعقلُ بتاتاً أنْ يَخلقَ اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدوداً (العرش) ليستقرَّ عليه، وهذا الأمرُ واضح لكل ذي عقلٍ سليم.

● أو قصَدَ، أي قصد إلى خلق شيء في العرش ؟ قد يكون المعنى كذلك، حيث فسَّرَ الإمام سفيان الثَّوْرِيّ (ت 160 هـ) **الاستواء "بقصد الإله إلى أمْرٍ في العرش"[1] واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾، ومعناه قصد إليها، أي قصد خلقها، وبهذا التأويل قال الحافظ والمُفسِّر ابن الجَوْزِي[2].**

● أو القهرُ والغلبَة والاستيلاء؟ قد يكون المعنى كذلك، فاللهُ هو﴿ القاهِرُ فوْقَ عِبادِهِ ﴾، وبهذا التأويل قال الإمام أبو المَعالي الجُوَيْني (ت 478 هـ)**، حيث قال: « لم يمتنع مِنّا حمل الاستواء على القهر والغَلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلان على المَمالِك، إذ احتوى على مقاليد المُلك واستعلى على الرقاب. وفائدة تخصيصِ العرش بالذِّكر أنه أعظم المخلوقات في ظنّ البريّة، فنصَّ الله عليه تنبيها بذِكْره على ما دونه»[3]. قوله: «وفائدة تخصيص العرش بالذِّكر أنه أعظم المخلوقات في ظنّ البريّة» هو نفس معنى قول الإمام أحمد السابق الذِّكْر: «وإنما خَصّ اللهُ العرشَ لمعنىً فيه مُخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. فامتدح الله نفسه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا».**

● أو التمام والكمال؟ هذا لا يجوز لأنَّ اللهَ لم يَكْتَسِب كَمالاً بخلق العرش، فاللهُ لم يزل ولا يزال مُتصفاً بالكمال- قبل وبعد خَلْقِ العرش -.

● أو العلو المَعْنَوي، أي عُلوّ المَجد والعَظَمَة والمُلْكِ والسُّلطان؟ هذا المعنى جائز في حقِّ الله، وبهذا التفسير قال الإمام القرطبي كما مَرَّ سابقا، والإمام المُفسِّر ابن جرير الطبري[4] (ت 310 هـ)**.**

● وفسَّرَ الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) **الاستواء بفِعلٍ أحْدَثه اللهُ في العرش سمّاهُ استواءً[5]، وهذا التفسير هو في معنى تفسير الإمام سفيان الثَّوْريّ الاستواء "بقصد الإله إلى أمْرٍ في العرش". فما هو الفعل الذي حدث في ذات العرش وسُمِّيَ استواءً، بمعنى العلو والارتفاع؟ الجواب هو: ارتفاعُ ذِكْرُ الله على العرش، أي أنَّ العرش بدأ يُسبِّح، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.**

والمُجَسِّمة الأوائل، ومنهم ابن تيمية وابن القَيِّم الجَوْزِيّة، والمعاصرون كالوهابيين وغيرهم، اختاروا مِن بين هذه المعاني المذكورة معنيين اثنين للفظ الاستواء المُضاف إلى الله تعالى دون الأخذ بالحسبان ما يجب لله مِن صفات الكمال وما لا يجوز نسبته إليه كخالق، وهما العلو الحسِّي والاستقرار (الجلوس) على العرش، وفسَّروا لفظ العرش المذكور في آيات الاستواء بسرير المَلِكِ ، وهذا سبب مِن الأسباب - على ما أظن - الذي أدّى بهم إلى تفسير الاستواء بالاستقرار والجلوس، ولا دليل لهم على ذلك، لا شرعي ولا عقلي. مِمّا لا شك فيه أنّ مِن معاني العرش "سرير المَلِك"، «قال الخليل بن أحمد[6]: العرش: السرير، فكلُّ سرير مَلِكٍ يُسمّى عرشا، والعرشُ مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام ، قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على العَرْشِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتيني بعَرْشِها﴾»[7] ، فكُلُّ سرير مَلِكٍ يُسَمّى عرشا، ولكن ليس كُلُّ عرش يُسَمّى سرير مَلِك. ومِن معاني العرش أيضا:

---

[1] ذكَرَ ذلك الإمام أبو المَعالي الجُوَيْني في كتابه "الإرشاد" ، ص 41، **الناشر**: مكتبة الخانجي بمصر، 1950.

[2] "دَفعُ شُبَه التشبيه" للإمام ابن الجَوْزي (ت 597 هـ)، ص 121 مِن طبعة دار الإمام النووي، ط 3، عمان 2005.

[3] "الإرشاد" للإمام أبي المَعالي الجُوَيني، ص 40- 41، **الناشر**: مكتبة الخانجي بمصر، 1950.

[4] أنظر تفسير الإمام ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلى السَّمآءِ فسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ [سورة البقرة: آية 29]، حيث فَسَّرَ الاستواء بعلو المُلْكِ والسُّلطان، لا علو انتقال، ولقد أحال إمامنا ابن جرير الطبري في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ﴾ في سورة الأعراف: آية رقم 54 – وكذلك في سورة الرعد: آية رقم 2، وفي سورة طه: آية رقم 5 - على تفسيره الآنف الذِكر، أي أنه فسّر "الاستواء" أينما ذُكِرَ مُضافاً إلى الله تعالى بعلو المُلْكِ والسُّلطان، وليس بالعلو الحِسّي على العرش أو بالاستقرار عليه.

[5] أنظر "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ أبي بكر البَيْهَقي، ص 517 بتعليق الشيخ المُحَدِّث الكَوْثري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت 2001.

[6] مِن أئمة الأدب واللغة، واضع عِلم العروض، ت 170 هـ في البصرة.

[7] أنظر "دَفعُ شُبَه التّشبيه" للحافظ ابن الجَوْزي ، ص 121 مِن طبعة دار الإمام النّوَوي، ط 3، عمان 2005.

السَّقف والمِظلّة، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿والسَّقفِ المَرْفوعِ ﴾: « هو العرش، وهو سقف الجَنة»[1]. وقال الإمام المُفسِّر والنحوي أبو حِيّان: « العرشُ سقف البيت، وكُلُّ ما يُهيأ لِيُظِلَّ أو يكُنَّ فهو عريش الدالية»[2]. وذَكر أبو العباس أحمد بن زرّوق الفاسي (ت 899 هـ) **في "شرح عقيدة الإمام الغزالي" أنّ العرش هو سقف العالم[3]، وبهذا أقول، والله أعلم. وبناءً على ما تقدم يتبين بشكل واضح أنّ للفظ "استوى" و "العرش" معانٍ عديدة، ولكن المُجسِّمة فسروا كلمة "استوى" بالارتفاع الحِسّي على العرش والجلوس عليه! وهل كان اللهُ سبحانه وتعالى تحت العرش أو مُحاذياً له حتى يرتفع عليه ثُمّ يجلس عليه؟! ﴿سُبحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفونَ﴾.**

فيما يلي أدلة نقليّة مِن القرآن الكريم والسُّنّة النبوية، وأدلة عقلية تُثبت تنزيه الله عن المكان مطلقاً وعن الجلوس على العرش:

1. قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلقَ السَّماواتِ والأرضَ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ﴾، وهذا نصٌّ صريحٌ على أنَّ اللهَ قد خَلقَ <u>المكان</u> (السماوات والأرض) <u>والزمان</u> (الليل - الظلمات - والنهار - النور) بعد أن كانا معدومين، وهذا يعني أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ في الأزَل عن المكان - والزمان-، فلو تحَيَّزَ الله على العرش بعد أنْ خلقه، بأن جلسَ عليه، فإمّا أنْ تكون صفة التّحَيُّز هذه صفة نقص، أو أنْ تكون صِفة كمال. <u>فإذا كانت صفة نقص</u> فلا يجوز أن يتصف اللهُ بها بأيّ حال لأنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الاتصاف بالنقائص. <u>وإذا كانت صفة كمال</u>، فهذا يعني أنّ اللهَ لم يَكُن متصفاً بهذه الصفة الكماليّة مِن قَبْل، ولازم هذا القول أنَّ ذاتَ الله كان ينقصها صفة كمال، وهذا باطلٌ لأنّ اللهَ الخالق لم يزل ولا يزال مُتّصِفاً بالكمال ومُنَزّهاً عن النقائص، وعلى هذا يَتبَيَّن استحالة تحَيُّز الله على العرش، أي استحالة جلوس الله عليه. والحقيقة هي أنّ التَّحَيُّزَ على العرش، أي الجلوس أو الاستقرار عليه، <u>صفة نقص</u>، لأنه لو تحَيَّزَ اللهُ بعد خلقه العرش بأن جلس عليه، لأصبح محدوداً، كون العرش محدوداً، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾، ومعناه أنه لا بداية ولا نهاية له، والذي ليس له بداية ولا نهاية فهو غير محدود. لهذا لا يُعقل بتاتاً أنْ يخلِقَ اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدوداً (العرش) ليستقرَّ عليه، لأنّ ذلك سيؤدي إلى تغيُّرٍ في ذاته بأن تُصبح محدودة كَوْن العرش محدوداً، ولهذا المعنى قال إمامنا أحمد بن حنبل: « واللهُ تعالى لم يلحقه تغيُّرٌ ولا تبَدل، ولا يَلحقهُ الحدود قبل خلق العرش ولا بَعد خَلقِ العَرْش»[4]، ومعنى هذا الكلام هو أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الحَدِّ مُطلقاً، وأنّ صفاتَه أزَلِيّة وأبدية كذاته.

ولهذا المعنى قال إمامنا الشافعي: « أنه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان وهو على صفته الأزَلِيّة كما كان قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغْيير في ذاته ولا التبديل في صفاته »[5]، ولهذا المعنى قال إمامنا أبو حنيفة - قبل الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله أجمعين - في كتابه "الفِقه الأكبر": « لم يَزَلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِه، لم يحدُث له اسمٌ ولا صفةٌ»، فصفاتُ الله لا تتبدل ولا يَحدث له صفاتٌ لم تكن له من قبل كالتّحَيُّز على العرش مثلا.

2. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « وأنتَ الظاهرُ فليْسَ فوقكَ شيءٌ وأنت الباطنُ فليْسَ دونَكَ شيءٌ »[6]، فإذا لم يَكُن فوقَ اللهِ شيءٌ، وليس تحته شيءٌ فهو موجودٌ بلا مكان. وإذا لم يَكُن تحتَ اللهِ شيءٌ فهو ليْسَ فوْق العرش فوقية مكانية، بل فوقية الرُّبوبية، فهو رَبُّ كُلِّ شيء: ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ﴾، وفوقية العظمة والسُّلطان والقهر:

---

[1] أنظر تفسير الإمام القرطبي لقوله تعالى: ﴿ **والسَّقفِ المَرْفوعِ** ﴾ [سورة الطور: آية رقم 5].

[2] أنظر تفسير أبي حيّان: "البحر المحيط"، لسورة البقرة: آية رقم 259 ، وانظر كذلك تفسير ابن عطية: "المُحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لسورة الأعراف: آية رقم 137.

[3] "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس أحمد بن زرّوق الفاسي (ت 899 هـ) ، ص 35 بتحقيق د. محمد عبدالقادر نصار، **الناشر**: دارة الكرز، ط1، القاهرة 2007.

[4] "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى الفرّاء ، مجلد 2 / ص 256 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997.

[5] "إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين"، مجلد 2 / ص 24 مِن الطبعة المُشار إليها في ص 1، في الحاشية رقم 5.

[6] جزء مِن حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم **2713**.

﴿وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾. والحديث النبوي السابق هو نصٌ شرعيٌّ صريحٌ على أنّ اللهَ ليس جالساً على العرش كما يتوهم المُجَسِّمة. فمن يفتري ويقول: أنّ اللهَ جالسٌ على العرش فهو ضال وإن ادّعَى الهُدى لنفسه.

3. وقال الرسول ﷺ: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرَقَتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرشُ على مَنكِبه وهو يقول: "سُبْحانكَ أينَ كُنت وأينَ تكون"»، رواه الإمام أبو يعلى الموصليّ في مُسْنَده بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

قولُ المَلَكِ: «سبحانك أين كنت» هو تنزيهٌ لله عن المكان في الأزَل، وسبحانك «أين تكون» هو تنزيهٌ لله عن المكان في الحاضر والمستقبل، أي أبداً. فأحدُ الملائكة مِن حَمَلة العرش، مِن فوق السماء السابعة، يُنَزِّهُ اللهَ عن المكان (الأين)، وهذا يعني أنّ اللهَ ليس جالساً على العرش أو عاليا عليه علواً مكانيا، إذن كيف يجرؤ مسلم مِن سكان الأرض أن يفتري ويقول أنّ اللهَ جالسٌ على العرش وأحَدُ حَمَلة العرش يُنزِّهُ الله عن العرش؟!

فاللهُ لم يَزَل ولا يزال مُنزّهاً عن المكان. فالمكان مخلوقٌ وللمخلوق، واللهُ هو الخالق ومُنَزّهٌ عن صفات الخَلْق. ولتقريب ذلك للفهم، أي أنّ اللهَ موجودٌ بلا مكان، إليك أخي المسلم وأختي المسلمة المثال التالي: النورُ (النهار) والظلامُ (الليل) مخلوقان كباقي المخلوقات، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾، فاللهُ سُبحانه وتعالى خلقَ الظلمات والنور بعد أن كانا معدومين، وهذا يعني أنّه كان هناك حالة مخلوقة بدون ظلام وبدون نور، ولكننا لا نستطيع تصوّر تلك الحالة المخلوقة لأنّ العقلَ قد تعوّد على حالةٍ واحدة فقط: إما ظلام (ليل) وإما نور (نهار). ومع ذلك يجب علينا أن نؤمن أنّ تلك الحالة المخلوقة بدون ليل وبدون نهار كانت موجودة مع عدم قدرة العقل على تصوّرها، فالأحرى، ﴿وَللهِ المَثَلُ الأعلى﴾ ، أنْ لا يُدرك العقلُ تصَوُّرَ وجودِ الله الخالق بدون مكان وزمان، فوجودُ الله ليس كوجود المخلوقات، نؤمن بوجود الله بلا مكان، وبدون السؤال: كيف؟ سُبحانه خالق المكان والزمان والأجسام والأعضاء.

وأكتفي بهذه الأدلة فالمقام لا يتسع لأكثر مِن ذلك، وقبل أن أنتقل إلى تفسير قوله تعالى ﴿الرَّحمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ أوَدُّ أن أذكر أنّ عقيدة جلوس الله على العرش هي عقيدة اليهود المُشَبِّهة لله بصفات المخلوقات، إذ قالوا: إن اللهَ خَلَقَ السماوات والأرض في ستة أيام « ثُمّ استراح يوم السبت، واستلقى على العرش »[2]، فكَذَّبَهُم اللهُ بقوله: ﴿وَلَقدْ خَلَقنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَيْنَهُما في سِتّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِن لُّغوبٍ﴾ [سورة ق: آية رقم 38]**، فسُبحان الله عن التعب والاستلقاء والجلوس والحدود.**

وعقيدة جلوس الله على العرش هي مِن عقائد النصارى أيضا، حيث جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسّي (الأصحاح 3، جملة رقم 1) **ما نصه: [فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالسٌ عن يمين الله]! وورد أيضا فيما يُسمى "إنجيل مَرْقس"** (الأصحاح 16، جملة رقم 19) **ما نصه: [ثمّ إنّ الرَّبَ - يقصد المسيح - بعدما كَلّمَهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله]، وبهذا تعلم أخي المسلم مَصْدر خرافة جلوس الله على العرش.**

تنويه: هناك أثرٌ معلولٌ عن الإمام مجاهد يتناقله المُجَسِّمة ليثبتوا جلوس الله على العرش، وهذا الأثر يَنُصُّ على أنّ اللهَ في اليوم الآخِر سيُجلس رسوله محمداً ﷺ على العرش معه، قال ابن تيمية في كتابه "مجموع الفتاوى": « فقد حدّثَ العلماءُ المَرضيون وأولياؤه المقبولون أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجلسُهُ ربُّه على العرش معه. روى ذلك محمد بن فُضيل عن ليث عن مجاهد في تفسير ﴿عَسَىٰ أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً

---

[1] "مُسنَد أبي يعلى الموصلي"، رقم الحديث **6588**، مجلد 5 / ص 503 – 504 بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1998. وقد صَحّحَ هذا الحديث الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" (رقم الحديث **3453**)، مجلد 8 / ص 82 مِن الطبعة التي جُمِع فيها كتاب "المطالب العالية" لابن حجر العسقلاني وكتاب "إتحاف الخِيَرَة المهَرة بزوائد المسانيد العشرة" للحافظ البوصيري في كتاب واحد، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 2003 . وقد صحّحَ الحديث أيضا الحافظ نور الدين الهيثمي في "مَجمع الزوائد ومنبعُ الفوائد" له، فقال « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح »، (جزء 8 / ص 138)، **الناشر**: مؤسّسة المعارف، بيروت 1986.

[2] أنظر تفسير البغوي للآية رقم 38 مِن سورة ق.

مَّحْموداً﴾ »[1]. الرد: 1. لازِمُ القول أنّ اللهَ سيُجلِسُ الرسول عليه الصلاة والسلام على العرش معه - على مذهب المُجَسِّمة - هو أنّ اللهَ أصغرُ مِن العرش! سبحان الله عن هذا الهذيان.

2. سَنَدُ الأثر المذكور عن مجاهد معلول: محمد بن فضيل مُختلفٌ فيه: وثقّه يحيى بن معين كما نقل ذلك عنه المُجسم أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، الذي كان يُجَوِّز استقرار الله على ظهر بعوضة، «وقال أبو حاتم - عن محمد بن فضيل- : شيخ. وقال أبو داود: كان شيعياً مُحْترقاً. وقال النّسائي: ليس به بأس »[2]. قول أبي حاتم: "شيخ" معناه في عِلم الجَرْح والتعديل: ضعيف. وليث بن أبي سُلَيْم راوي الأثر عن مجاهد ضَعّفَهُ سفيان بن عُيينة ويحيى بن معين، وكان يحيى بن سعيد القطان لا يُحدثُ عنه، وقال عنه أحمد بن حنبل: "مضطرب الحديث"، وعلاوة على ذلك كان قد اختلط[3]. فسندُ هذا الأثر عن مجاهد ضعيف، وعلاوة على ذلك مَتنُه (أي نَصّه) مُنكر، لأنه يَنسبُ لله المكان (على العرش) وهذا يُخالف نصَّ الرسول عليه الصلاة والسلام الآنف الذِّكْر: «وأنتَ الباطنُ فليْسَ دونكَ شيءٌ»، فإذا لم يَكُن تحت الله شيءٌ فهو ليس فوق العرش فوقية مكانية، ولا جالسٌ ولا مُسْتَقِرٌ عليه.

نصيحة تنفع يوم الحِساب إنْ شاء الله: أخي المسلم، أختي المسلمة: المُجَسِّمَة يستشهدون في كتبهم بأحاديث وآثار ضعيفة، وأحيانا مكذوبة لكي يُثبتوا بالباطل عقيدة التجسيم، فلا تنخدع بقولهم: قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال مجاهد، قال أحمد بن حنبل، قال الطحاوي ... إقرأ في كتب علماء أهل السُّنة، ودَعْك مِن كتب ابن تيمية، وكتب شيوخ الوهابية، سواء أكانوا مِن السعوديين أم مِن غيرهم، ففيها تكمن عقائد المُجَسِّمة، وليس عقائد أهل السّنة. وفيما يلي مثالٌ على استشهاد المُجَسِّمَة بآثار مكذوبة للاستدلال على أنّ الله جالسٌ على العرش: في كتابه"بدائع الفوائد " (مجلد 2/ جزء 4 / ص 40 مِن طبعة دار الفكر) استشهد ابن القيِّم الجَوْزِيّة، تلميذُ ابن تيمية، بأبياتٍ شعرية مكذوبة على الإمام أبي الحسن الدّارقُطني ليبرهن على أنّ اللهَ قاعدٌ على العرش وأنه سَيُقعدُ رسوله محمد صلى الله عليه وسلم على العرش معه، وفيما يلي هذه الأبيات:

حديثُ الشفاعة عن أحمدٍ	إلى أحمد المصطفى نُسنِدُه
وجاء حديث بإقعادهِ	على العرش أيضا فلا نجحَده
أمِرّوا الحديث على وجهه	ولا تُدخلوا فيه ما يُفسِده
ولا تُنكروا أنه قاعدٌ	ولا تجحدوا أنه يُقعِده

الرد: أولا: نحنُ أهل السُّنة نُنَزِّه اللهَ عن القعود على العرش، ونُبَدِّع كلّ مَن يعتقد ذلك. ولقد رَدَّ الشيخ ناصرالدين الألباني، وكان مِن أنصار ابن تيمية، هذه العقيدة الفاسدة، أقصد عقيدة جلوس الله على العرش، حيث قال في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (حديث رقم **865** : "يُجلسني على العرش"، ص 255، ط 2، **الناشر**: مكتبة المعارف، الرياض 2000) ما نصه: « ... وبهذه المناسبة أقول: إنّ ما يُنكَر في هذا الباب ما رواه أبو محمد الدَّشْتي في "إثبات الحَد" (144/ 1- 2) مِن طريق أبي العز بن عبيدالله بن كادش: أنشدنا أبو طالب محمد بن علي الحربي، أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدّارقطني رحمه الله، قال: - ثم أورد الألباني الأبيات الشعرية السابقة، ثم عَلّق عليها، فقال-: فهذا إسناد لا يَصِح، مِن أجل أبي العز هذا، فقد أوْرَدَهُ ابن العماد في وفيات سنة (526 هـ) مِن "الشذرات" (4 / 78)

---

[1] "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، مجلد 2/ جزء 4/ "مسألة التفضيل بين الملائكة والناس" ، ص 190 بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، **الناشر**: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 2000.

[2] "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للحافظ المِزّي، مجلد 26 / ص 297 ، بتحقيق د. بشار عواد معروف، **الناشر**: مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت 1992.

[3] "تهذيب الكمال" للحافظ المِزّي ، ترجمة رقم **5017**، مجلد 24 / ص 282 - 285 بتحقيق د. بشار عواد معروف.

وقال: " قال عبدالوهاب الأنماطي: كان مُخَلِّطاً". وأما شيخه أبو طالب وهو العشاري فقد أوْرَدَهُ في وفيات سنة (451 هـ) وقال (3 / 289)**: "كان صالحا خيرا زاهدا". فاعلم أنّ إقعاده صلى الله عليه وسلم على العرش ليس فيه إلاّ هذا الحديث الباطل، وأمّا قعوده تعالى على العرش فليس فيه حديثٌ يَصِح، ولا تلازم بينه وبين الاستواء عليه كما لا يخفى » انتهى كلام الشيخ الألباني.**

حُكْمُ الشيخ الألباني على ابن كادش ناقلا عن الأنماطي أنه "كان مُخَلِّطا" غير كامل، والحقيقة هي أنه كان أيضا وضّاعاً كَذابا، قال الحافظ الذهبي في "ميزان الاعتدال" له في ترجمة ابن كادش (ترجمة رقم 460)**: «أقرّ بوضع حديثٍ وتاب وأناب»[1]، وقال أيضا عنه في "سِيَر أعلام النُبلاء" له** (ترجمة رقم 324) **ما نصه: « قال ابن النجّار: كان ضعيفا في الرواية، مُخلِطاً كَذاباً، لا يُحتج به، وللأئمة فيه مقال ...»[2]، فابن كادش لم يكن فقط مُخلِّطاً، بل كَذابا أيضاً.**

إذن كيف يعتمدُ ابن القيِّم الجَوْزيّة لإثبات جلوس الله على العرش على رواية راوٍ مُخلطٍ وضعيفٍ ولا يُحْتَجُّ به، وعلاوة على ذلك قد كَذَبَ على رسول الله ﷺ ؟!

الجواب: لأنّ عقيدة التجسيم ونِسبة المكان لله مؤسسة أصلاً على الباطل، فالمُجَسِّمة بحاجة للكَذب لكي يُرَوِّجوا عقيدتهم بين عوامِّ الناس، فحسيبهم الله على ذلك.

تنويه: قَوْلُ الذهبي عن ابن كادش: «وتاب وأناب»، لا يعني بأيّ حال أنه تُقبَل روايته بعد توبته، فمَن كَذبَ في خبرٍ واحدٍ لا تُقبَل روايته بتوبة تظهر منه، وليس هذا فحسب، بل تسقط روايته قبل ظهور كذبه أيضا[3].

ثانيا: أخرج الإمام البخاري في صحيحه (برقم 4718) والإمام التِّرْمِذي في سننه بإسناد صحيح (برقم 3137) أنَّ الرسولَ ﷺ فسَّرَ المقامَ المحمود بالشفاعة يوم القيامة، وليس بجلوسه على العرش مع الله، سبحان الله عن الجلوس وعن سائر صفات المخلوقات وعن المكان مُطلقاً .

---

[1] "ميزان الاعتدال" للذهبي، مجلد 1 ، ص 118 مِن طبعة دار المعرفة، بيروت.
[2] "سِيَر أعلام النبلاء" للذهبي، مجلد 19 ، ص 559 مِن طبعة مؤسسة الرسالة، ط 11، بيروت 2001.
[3] راجع "أصول الحديث" للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص 274، الناشر: دار الفكر، ط 4، بيروت 1981.

معنى قوله عزّوجلّ:

الرَّحْمنُ على العَرْشِ استَوَى

تمهيد:

كما هو معلوم، الغاية مِن خَلْقِ المخلوقات هي العبادة، لقوله تعالى في حَقِّ المخلوقات غير الحَيّة: ﴿وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن: آية 6].

والنجم هو العشب[1]، فالعشب والشجر يسجدان، والسجود مِن العبادة. وقال الله تعالى: ﴿وإن مِّن شَيءٍ إلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ وَلكن لّا تَفقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ﴾[2]، والتسبيح مِن العبادة.

وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في حقّ المخلوقات الحيّة: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيَعْبُدونِ﴾[3]، فالغاية مِن خلق الجن والإنس هي عبادة الله.

وأوّلُ شيء خلقه اللهُ هو الماء لقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي هريرة رضي الله عنه: « كُلُّ شيءٍ خُلِقَ مِن الماء »[4]، وخلقَ اللهُ الماء مِن العَدَم، قال الله تعالى: ﴿ إنّمآ أمْرُهُ إذآ أرَادَ شَيئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فيَكونُ﴾، ثُمّ خَلَقَ اللهُ العرشَ على الماء، ثُمّ خلقَ القلمَ ثم اللوْح المحفوظ، وأمرَ القلمَ أنْ يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[5]، ثم خَلق اللهُ السماوات والأرض، قال اللهُ جَلّ ثناؤُه: ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ يُدَبِّرُ الأمْرَ﴾ [سورة يونس: آية رقم 3].

ولقد أُوحِيَ القرآنُ الكريم إلى الرسول ﷺ باللغة العربية، أي وفقَ قواعدها وأساليبها في الكلام والتعبير، ومِن ذلك الكِناية والمَجَاز والإضْمار. والمَجاز هو استعمال الكلمة في غير ما وُضِعت له، مثال، نقول: خالد بن الوليد أسد، وهذا مَجَاز وليس حقيقة، لأنَّ كلمة أسد وُضِعت أصلاً لذلك الحيوان المعروف والمُسَمّى أيضا ليث وضرغام. وأطلقنا الإسم "أسد" على خالد بن الوليد من باب المَجاز وذلك لوجود علاقة ما بين خالد والأسد وهي الشجاعة والإقدام. مثال من القرآن الكريم، قال اللهُ تعالى: ﴿وأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازينُهُ، فأمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمآ أدْراكَ ما هِيَهْ، نارٌ حامِيَةٌ﴾، فاسم الأم "هاوية" مَجاز، أي كما أنَّ الأم مأوى وملجأ لولدها، كذلك النار مأوى وملجأ للكافرين.

والكِناية[6] نوع من أنواع المَجاز، وهي لفظ يُراد به لازم المعنى، وبعبارة أخرى: الكِناية هي التعبير عن الشيء بطريقة غير مباشرة. مثال: نقول عن رجل: إنه رأسُ العشيرة، وهذا القول مَجاز وكِناية عن السِّيادة. والمَثل العاميّ: «ضربة إعمى في زاوية» هو كِناية عن حُسن الحظ والتوفيق. مثال مِن القرآن الكريم: ﴿نِسآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ، فأتوا حَرْثَكُمْ أنَّى شِئتُمْ﴾ ، فكلمة حَرْث في الآية الكريمة هو كِناية عن الغاية من المعاشرة الزوجيّة وهي التناسل.

والإضمار معناه أنّ الكلام يكون فيه كلمة أو كلمات محذوفة، ومع ذلك يكون المعنى واضحا، مثال: «رُبَّ رَمْيةٍ مِن

---

[1] قال الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن، آية رقم 6] ما نصه: «قال ابن عباس وغيره: **النجم ما لا ساق له**، والشجر ما له ساق ».

[2] سورة الإسراء: آية رقم 44.

[3] سورة الذاريات: آية رقم 56.

[4] حديث صحيح، أخرجه الإمام أبو بكر البَيْهقي بإسناده مِن طريق أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْه في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 483 بتعليق الشيخ الكَوْثري، ورواه الإمام أحمد في مُسنَده بلفظ : « كُلَّ شيءٍ خَلَقَ اللهُ عزّ وجل مِن الماء »، أنظر "مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل"، رقم الحديث **8278** ، مجلد 8/ ص 269 من طبعة دار الحديث، ط 1، القاهرة 1995.

[5] قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « كان اللهُ ولم يكُن شيءٌ غيرُه، وكان عرشُهُ على الماء، وكَتبَ في الذِّكْر كُلَّ شيء، وخَلَقَ السّماوات والأرض »، رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم **3191**.

[6] بخصوص المجاز والكناية: **المرجع**: " مباحث في علوم القرآن "، **تأليف**: الدكتور صبحي الصالح، ص 327 وما بعدها، **الناشر**: دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، بيروت 1977.

غير رامٍ »، هذا المَثل فيه إضمار أي كلام مخفي، والمثل بدون إضمار يكون تقديره كالآتي: رُبَّ رَمْيَةٍ صائبةٍ مِن غير رامٍ ماهر أو حاذق. مثال من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَسْئَلِ القَرْيَةَ﴾، والمقصود أهلِ القرية، فالآية فيها كلمة مُضمرة وهي أهل، ومع ذلك معنى الآية واضح. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَأعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ، في هذه الآية الكريمة إضمار، وتقدير الكلام المُضْمَر هو: قرآن ورسول أو ونبيّ، وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : ﴿ءَأعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هو: أقرآنٌ أعجميّ، أي بلغة أجنبية، ورسولٌ عربيّ؟!

وهكذا الأمر في قوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ﴾، فالآية فيها إضمار، وتقديره: ذِكْرُ الله، وعلى هذا يكون معنى الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ﴾ هو: ارتفع ذِكْرُ اللهِ على العرش، ومعنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ هو: ذِكْرُ الرَّحمنِ على العرش ارتفع - واللهُ أعلم-. وذِكْرُ اللهِ هو التسبيح، والتسبيح مِن العبادة. فارتفاع ذِكْرُ الله على العرش معناه أنّ العرشَ بدأ يُسَبِّح، قال الله تعالى: ﴿وإن مِّن شَيءٍ إلّا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ وَلكن لّا تَفقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ﴾، فالعرشُ يُسبِّح كباقي الأشياء التي تُسَبِّح. ولقد ورد لفظ "اسْتَوَى" مضافا إلى الله تعالى في سبعة مواضع مِن القرآن الكريم، وفي كلّ مرة ورد ذِكْره بعد ذِكْرِ خلق السماوات – والأرض[1]، قال الله تعالى: ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ﴾، وبناءً على ما تقدم يكون استواءُ ذِكْرِ الله على العرش قد حصل (في اليوم السابع[2]) بعد خَلْقِ السّماوات والأرض، وعلى هذا يكون العرشُ - وهو أعظم المخلوقات - أوّل المُسَبِّحين، والله أعلم.

تمّ الكُتيِّب بفضل الله والحمدُ لله الذي أعانني على ذلك. وصلى اللهُ على سيِّدنا مُحمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله رَبِّ العالمين.

محمد عوض

1434 هجري

2013 ميلادي

الدهيشة - بيت لحم

فلسطين

[1] في **ستة** مواضع ذُكِرَ الاستواء بعد ذِكْرِ خَلقِ السّماوات والأرض – ربما إشارة إلى خَلْق السماوات والأرض في ستة أيام، والله أعلم- ، وفي **موضع واحد** ذُكِرَ بعد ذِكْر خلق السماوات دون ذِكْر خَلقِ الأرض - ربما إشارة إلى إرتفاعِ ذِكْرِ الله على العرش، وهذا فوق السماوات، والله أعلم -.

[2] أخرج الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناده عن الإمام قتادة (ت 118 هـ) أنّ الاستواء على العرش حدث في **اليوم السابع** بعد خلق السماوات والأرض وما بينهما، (أنظر تفسير ابن جرير الطبري عند تفسيره لآية رقم **4** مِن سورة السجدة).